**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : غزوات بعد بدر الكبرى وغزوة أحد**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الثامن**

**أهم الأحداث التي وقعت بين غزوتي بدر وأحد :**

في أعقاب غزوة بدر أخذت الهيبة العسكرية للمسلمين مداها الكبير في دائرة واسعة في الجزيرة العربية ، وأحس ضعفاء المشركين بالخطر وشعر أقوياؤهم بغلبة الإسلام ، وبدأت النفوس تتطلع إلى الإيمان ؛ فتوسعت دائرة الدخول في الإسلام ، ورأى الكثيرون أن يدخلوا في الإسلام نفاقًا أو خديعة ، وبهذا كله أصبحت الدولة الجديدة أمام أوضاع جديدة من المكر والتآلب والتحالفات ، ولكن تأييد الله تعالى ثم جهاز أمن الدولة المتيقظ أفشل مخططات أعداء الإسلام .

**الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقبل أحد :**

**1- غزوة ماء الكدر في بني سليم :**

غزا النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبع ليالٍ من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكدر في ديار بني سليم الذين قصدهم بغزوته هذه ، غير أنه لم يلق حرباً فأقام ثلاث ليالٍ على الماء ثم رجع إلى المدينة ، كان سبب تلك الغزوة تجمع أفراد بني سليم لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم بعد معركة بدر مباشرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجأهم بهجوم سريع غير متوقع ، فهرب بنو سليم وتفرقوا على رؤوس الجبال ، وبقيت إبلهم مع راعٍ لها يدعى يساراً ، فاستاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الإبل مع راعيها ، وعند موضع صرار، على ثلاثة أميال من المدينة ، قسم النبي صلى الله عليه وسلم الإبل التي كان عددها خمسمائة بعير على أصحابه ، فأصاب الواحد منهم بعيرين ، ونال النبي صلى الله عليه وسلم خمسها ، وكان يسار من نصيبه ، ولكنه أعتقه بعد ذلك .

**2- غزوة السويق :**

قدم أبو سفيان بمائتي فرس من مكة ، وسلك طريق النجدية حتى نزلوا حي بني النضير ليلاً ، واستقبلهم سلام بن مشكم سيد بني النضير، فأطعمهم وأسقاهم وكشف لهم عن أسرار المسلمين ، وتدارس معهم إحدى الطرق لإيقاع الأذى بالمسلمين ، ثم قام أبو سفيان بمهاجمة ناحية العُريض - وادٍ بالمدينة في طرف حرة واقم - فقتل رجلين وأحرق نخلاً وفر عائداً إلى مكة ، فتعقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، ولكنه لم يتمكن من إدراكهم ؛ لأن أبا سفيان ورجاله قد جدوا في الهرب ، وجعلوا يتخففون من أثقالهم ويلقون السويق التي كان يحملونها لغذائهم ، وكان المسلمون يمرون بهذه الجرب فيأخذونها ، حتى رجعوا بسويق كثير، لذا سميت هذه الغزوة بغزوة السويق ، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمسة أيام دون أن يلقى حرباً .

**3- غزوة ذي أمر:**

جاءت الأخبار من قِبَل رجال الاستخبارات الإسلامية تفيد بأن رجال قبيلتي ثعلبة ومحارب تجمعوا بذي أمر بقيادة دُعثور بن الحارث المحاربي ، يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإغارة على المدينة ، فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربعمائة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل ، فأصابوا رجلاً بذي القصة يقال له جبار من بني ثعلبة ، كان يحمل أخباراً عن قومه أسرَّ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دخل في الإسلام وانضم إلى بلال ليتفقه في الدين ، أما المشركون من بني ثعلبة ومحارب ما لبثوا أن فروا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نجد مدة تقارب الشهر دون أن يلقى كيداً من أحد وعاد بعدها إلى المدينة .

وفي هذه الغزوة أسلم دعثور بن الحارث الذي كان سيداً مطاعاً بعد أن حدثت له معجزة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أصاب المسلمين في هذه الغزوة مطرٌ كثيرٌ فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل تحت شجرة ونشر ثيابه لتجف ، واستطاع دُعثور أن ينفرد برسول الله بسيفه ، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله» ، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من يمنعك مني» قال: لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك ، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع صدري فوقعت لظهري , فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ، ونزل في ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة:11] .

**4- غزوة بحران بحران :**

كانت هذه الغزوة في شهر جمادى الأولى من السنة الثالثة للهجرة ، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة من المسلمين حتى بلغ بحران بين مكة والمدينة يريد قتال بني سليم , فوجدهم قد تفرقوا ، فانصرف عنهم ، وعاد إلى المدينة بعد أن أمضى خارجها عشر ليالٍ ، ونلحظ في هذه الغزوات قدرة القيادة الإسلامية على رصد تحركات العدو، ومعرفة قوته ، وخططه ، ومدده لكي تحطم هذه التجمعات المناوئة للدولة الإسلامية الفتية قبل أن يستفحل أمر هذه القبائل ، وتصبح خطراً على المدينة .

**5- سرية زيد بن حارثة إلى القُردة :**

أصبح مشركو مكة بعد هزيمتهم في بدر يبحثون عن طريق أخرى لتجارتهم للشام ، فأشار بعضهم إلى طريق نجد العراق ، وقد سلكوها بالفعل ، وخرج منهم تجار، فيهم أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية , وحويطب بن عبد العزى ، ومعهم فضة وبضائع كثيرة ، بما قيمته مائة ألف درهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أحد أفراد جهاز الأمن الإسلامي يدعى سليط بن النعمان - رضي الله عنه - ، فبعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في مائة راكب لاعتراض القافلة ، فلقيها زيد عند ماء يقال له القردة ، وهو ماء من مياه نجد ، ففر رجالها مذعورين ، وأصاب المسلمون العير وما عليها ، وأسروا دليلها فرات بن حيان الذي أسلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم , وعادوا إلى المدينة ، فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووزع الباقي بين أفراد السرية .

**غزوة بني قينقاع :**

وقعت في السنة الثانية للهجرة ، وذكر الواقدي وابن سعد أنها وقعت يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية ، واتفق معظم من كتب في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته على أنها وقعت بعد معركة بدر، إذ لم يلتزم يهود بني قينقاع بالمعاهدة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم معهم ، ولم يوفوا بالتزاماتهم التي حددتها ، ووقفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين مواقف عدائية ، فأظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون في بدر، وجاهروا بعداوتهم للمسلمين , وقد جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوقهم بالمدينة ونصحهم ، ودعاهم إلى الإسلام، وحذرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشاً في بدر , غير أنهم واجهوا النبي صلى الله عليه وسلم بالتحدي والتهديد رغم ما يفترض أن يلتزموا به من الطاعة والمتابعة لبنود المعاهدة التي جعلتهم تحت رئاسته ، فقد جابهوه بقولهم: «يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا .

وهكذا بدأت الأزمة تتفاعل إذ لم يكن في جوابهم ما يشير إلى الالتزام والاحترام ، بل على العكس فإنهم قد أظهروا روحاً عدائياً ، وتحدياً واستعلاء واستعداداً للقتال ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله تعالى: (قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ - قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأبْصَارِ) [آل عمران: 12، 13] .

**الأسباب المباشرة للغزوة :**

لما انتصر المسلمون في بدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ما قال ، أضمرت بنو قينقاع نقض العهد الذي بينهم وبين المسلمين ، وأخذوا يتحينون الفرصة السانحة لمناوشة المسلمين ، حتى جاءتهم فرصتهم الحقيرة الدنيئة عندما جاءت امرأة من العرب قدمت بجَلَب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وذلك يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان الذي حمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمري , واسمه بشير , وحين سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبذ إليهم العهد كما أمره الله تعالى في قوله: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) [الأنفال: 58] .

**ضرب الحصار عليهم :**

وحين علم اليهود بمقدمه صلى الله عليه وسلم تحصنوا في حصونهم ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة , واستمر الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب واضطروا للنزول على حكمه صلى الله عليه وسلم, فقد فاجأهم صلى الله عليه وسلم بأسلوب الحصار، فأربكهم وأوقعهم في حيرة من أمرهم بعد أن قطع عنهم كل مدد وجمد حركتهم ، فعاشوا في سجن مما جعلهم في النهاية ييأسون من المقاومة والصبر، فبعد أن كانوا يهددون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنهم قوم يختلفون بأساً وشدة عن مشركي قريش ، إذا بهم يضطرون للنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهم فربطوا فكانوا يكتفون أكتافاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي .

**مصير يهود بني قينقاع :**

حاول ابن سلول زعيم المنافقين أن يحل حلفاءه من وثاقهم ، فعندما مر عليهم قال: حلوهم , فقال المنذر: أتحلون قوماً ربطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله لا يحلهم رجل إلا ضربت عنقه , فاضطر عبد الله بن أبي ابن سلول أن يتراجع عن أمره ويلجأ إلى استصدار الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بفك أسرهم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج - قال: فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا محمد: أحسن في موالي ، قال: فأعرض عنه ، فأدخل ابن أبي يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلني» ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللاً , ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله ، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاثة مائة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم لك» ، فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهم ثم أمر بإجلائهم ، وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لديهم من مال ، وقد تولى جمع أموالهم وإحصاءها محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - .

**تبرؤ عبادة بن الصامت من بني قينقاع :**

لما نقضت العهد بنو قينقاع وكان عبادة بن الصامت أحد بني عوف - لهم من حلف بني قينقاع مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي- مشى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلعهم إليه ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال: يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، ولما تقرر جلاء بني قينقاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن الصامت أن يجليهم ، فجعلت بنو قينقاع تقول: يا أبا الوليد من بين الأوس والخزرج -ونحن مواليك- فعلت هذا بنا؟ قال لهم عبادة: لما حاربتم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني أبرأ إليك منهم ومن حلفهم ، وكان ابن أبي وعبادة بن الصامت منهم بمنزلة واحدة في الحلف , فقال عبد الله بن أبي: تبرأت من حلف مواليك؟ ما هذا بيدهم عندك ، فذكره مواطن قد أبلوا فيها ، فقال عبادة: يا أبا الحباب ، تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ، أما والله إنك لمعصم بأمر سنرى غيَّه غداً ، فقالت بنو قينقاع: يا محمد ، إن لنا ديناً في الناس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعجلوا وضعوا» وأخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء ، وطلبوا التنفس ، فقال لهم: ولا ساعة من نهار, لكم ثلاث لا أزيد عليها , هذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كنت أنا ما نفستكم ، فلما مضت ثلاث ، خرج في آثارهم حتى سلكوا إلى الشام وهو يقول: الشرف الأبعد الأقصى فالأقصى ، وبلغ خلف الذباب ثم رجع ولحقوا بأذرعات .

وهكذا خرج بنو قينقاع من المدينة صاغرين قد ألقوا سلاحهم وتركوا أموالهم غنيمة للمسلمين ، وهم كانوا من أشجع يهود المدينة ، وأشدهم بأساً ، وأكثرهم عدداً وعدة ؛ ولذلك لاذت القبائل اليهودية بالصمت والهدوء فترة من الزمن بعد هذا العقاب الرادع ، وسيطر الرعب على قلوبهم وخضدت شوكتها .

**غزوة أحد سنة 3هـ**

**أسباب الغزوة :**

كانت أسباب غزوة أحد متعددة منها: الديني ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي .

**1- السبب الديني :**

فقد أخبر المولى عز وجل أن المشركين ينفقون أموالهم في الصد عن سبيل الله ، وإقامة العقبات أمام الدعوة الإسلامية ، ومنع الناس في الدخول في الإسلام ، والسعي للقضاء على الإسلام والمسلمين ودولتهم الناشئة , قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [الأنفال: 36] .

**2- السبب الاجتماعي :**

كان للهزيمة الكبيرة في بدر، وقتل السادة والأشراف من قريش وقع كبير من الخزي والعار الذي يحل بهم ، وجعلهم يشعرون بالمذلة والهزيمة ، ولذلك بذلوا قصارى جهدهم في غسل هذه الذلة والمهانة التي لصقت بهم ، ولذلك شرعوا في جمع المال لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فور عودتهم من بدر, قال ابن إسحاق: (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فُلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيرهم فأوقفها بدار الندوة ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلم يحركها ولا فرقها ، فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشاً لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم , فمشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وحويطب بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية في رجال ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة من قريش ، فقالوا: إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم , فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منها، فقال أبو سفيان: أنا أول من أجاب إلى ذلك ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ لها فقال: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي ، فأنت عتيق .

**3- السبب الاقتصادي :**

كانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصاراً اقتصادياً قوياً ، وكان الاقتصاد المكي قائماً على رحلتي الشتاء والصيف ، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها ، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها ، وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضرب للجناح الآخر، لأن تجارتهم إلى الشام قائمة على سلع اليمن ، وتجارتهم إلى اليمن قائمة على سلع الشام , قال تعالى: (لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ - إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ - فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) [قريش] ، ويشير إلى هذا قول صفوان بن أمية: (إن محمداً وأصحابه قد عوزوا علينا متاجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، وهم لا يبرحون الساحل ، قد وادعهم , ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في ديارنا هذه , ما لنا بها بقاء ، وإنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى الحبشة) .

**4- السبب السياسي :**

فقد أخذت سيادة قريش في الانهيار بعد غزوة بدر، وتزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها ، فلا بد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وتضحيات .

**خروج قريش من مكة إلى المدينة :**

استكملت قريش قواها في يوم السبت لسبع خلون من شوال من السنة الثالثة من الهجرة , وعبأت جيشها المكون من ثلاثة آلاف مقاتل مصحبين معهم النساء والعبيد , ومن تبعها من القبائل العربية المجاورة ، فخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا بالظعن , التماس الحفيظة لئلا يفروا ، فخرج أبو سفيان ، وهو قائد الناس بهند بنت عتبة بن ربيعة , وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة بنت مسعود الثقفية ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة .. فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة ، على شفير الوادي مما يلي المدينة .

**الاستخبارات النبوية تتابع حركة العدو :**

كان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية ، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ضمنها جميع تفاصيل الجيش ، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد في السير, حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة ، التي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد قباء .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس ، (وكان - رضي الله عنه - يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم , وكان المسلمون يتقوون به بمكة ، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن مقامك في مكة خير) ، كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقيقة فقد جاء في رسالته: (أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك , فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه ، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير, وأوعبوا من السلاح) .

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بمعلومات المخابرات المكية ، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن ، وفي هذا إرشاد لقادة المسلمين بأهمية متابعة الأخبار التي يتولد عنها وضع خطط وإستراتيجيات نافعة ، ولذلك أرسل صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة وحزر عَدَده وعُدَده ورجع , فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت؟» قال: رأيت أي رسول الله عدداً ، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، والخيل مائتي فرس ، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع ، قال: «هل رأيت ظعناً؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أردن أن يحرضن القوم ويذكرونهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً , حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أجول وبك أصول» ، كما أرسل صلى الله عليه وسلم أنساً ومؤنساً ابني فضالة يتنصتان أخبار قريش ، فألفياها قد قاربت المدينة ، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها ، وعادا فأخبراه بخبر القوم .

وبعد أن تأكد من المعلومات حرص صلى الله عليه وسلم على حصر تلك المعلومات على المستوى القيادي , خوفاً من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين قبل إعداد العدة ، ولذلك حين قرأ أبي بن كعب رسالة العباس أمره صلى الله عليه وسلم بكتمان الأمر، وعاد مسرعاً إلى المدينة ، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف ، وكان صلى الله عليه وسلم قد أطلع سيد الأنصار سعد بن الربيع على خبر رسالة العباس فقال: والله إني لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه إياه ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند سعد ، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله؟ فقال لها: لا أم لك , أنت وذاك ، فقالت: قد سمعت ما قال لك ، فأخبرته بما أسر به الرسول صلى الله عليه وسلم فاسترجع سعد ، وقال: يا رسول الله ، إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلِّ عنها» .

**مشاورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه :**

بعد أن جمع صلى الله عليه وسلم المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه رضي الله عنهم وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين ، وكان رأي النبي صلى الله عليه وسلم البقاء في المدينة ، وقال: «إنا في جنة حصينة» فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن رجالاً من المسلمين ممن كان فاته بدر قالوا: يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه ، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً ، قد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة .

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فلبس لأمته , فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرضتم بغيره ، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم: (أمرنا لأمرك تبع) فأتى حمزة فقال له: (يا نبي الله إن القوم تلاوموا ، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» .

من الواضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم عوَّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه ، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة ، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي ، ولم يحدث أن لام الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً ؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه ، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام , فلابد أن يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم التوجيه القرآني: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159] ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على الخروج وقد أعلن حالة الطوارئ العامة وتجهز الجميع للقتال ، وأمضوا ليلتهم في حذر, كلٌّ يصحب سلاحه ولا يفارقه ، حتى عند نومه ، وأمر صلى الله عليه وسلم بحراسة المدينة ، واختار خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - واهتم الصحابة بحراسة رسول الله ، فبات سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وسعد بن عبادة في عدة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ليلة الجمعة مدججين بالسلاح في باب المسجد يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**خروج جيش المسلمين إلى أحد :**

من الأسباب المهمة التي اتخذها صلى الله عليه وسلم لملاقاة أعدائه اختياره لوقت التحرك والطريق التي تناسب خطته ، فقد تحرك بعد منتصف الليل ، حيث يكون الجو هادئاً ، والحركة قليلة ، وفي هذا الوقت بالذات يكون الأعداء ، غالباً , في نوم عميق لأن الإعياء ومشقة السفر قد أخذا منهم مجهوداً كبيراً .

ومن المعروف أن من نام بعد تعب يكون ثقيل النوم ، فلا يشعر بالأصوات العالية والحركة الثقيلة ، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدلج , فلما كان في السحر قال: «أين الأدلاء؟» ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم اختار الطريق المناسب الذي يسلكه حتى يصل إلى أرض المعركة ، وذكر صفة ينبغي أن تتوافر في هذا الطريق وهي السرية ، حتى لا يرى الأعداء جيش المسلمين ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فأبدى أبو خيثمة - رضي الله عنه - استعداده قائلاً : أنا يا رسول الله ، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مال لربعي بن قيظي ، وفي رواية ابن هشام: لمربع بن قيظي وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يحثو في وجوههم التراب ، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي ، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده ، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد ، لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال لهم: لا تقتلوه , فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني الأشهل قبل نهي رسول الله عنه ، فضربه بالقوس في رأسه فشجه .

عندما وصل جيش المسلمين الشواط انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين ، ومعترضاً على قرار القتال خارج المدينة قائلاً: (أطاع الولدان ومن لا رأي له ، أطاعهم وعصاني ، علام نقتل أنفسنا) ، وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطراباً في الجيش الإسلامي لتنهار معنوياته , ويتشجع العدو، وتعلو همته ، وعمله هذا ينطوي على خيانة عظيمة ، وبغض الإسلام والمسلمين ، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب ، حتى لا يختلط المخلص بالمغرض ، والمؤمن بالمنافق قال تعالى: (مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) [آل عمران: 179] ، فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين , فافتضحوا أمام أنفسهم وأمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن .

حاول عبد الله بن حرام - رضي الله عنه - إقناع المنافقين بالعودة فأبوا ، فقال: يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه ، وفي هؤلاء المنخذلين نزل قول الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ - وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) [آل عمران: 166، 167] .

ولما رجع ابن أبي ابن سلول وأصحابه همت بنو سلمة وبنو حارثة أن ترجعا ، ولكن الله ثبتهما وعصمهما ، قال جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية فينا: (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران: 122] بني سلمة ، وبني حارثة ، وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) .

وقد ظهر رأيان في أوساط الصحابة تجاه موقف ابن سلول ، فالأول: يرى قتل المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم وانشقاقهم عن الجيش ، والثاني: لا يرى قتلهم ، وقد بين القرآن الكريم موقف الفريقين في الآية: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَن يُّضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) [النساء: 88] .

وعندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكان يدعي الشيخين رأى كتيبة لها صوت وجلبة فقال: ما هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال صلى الله عليه وسلم: «لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك» , وهذا أصل وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الركون إلى أعداء الإسلام في الاستنصار بهم .

ونلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة ، ويسعى للشهادة شيباً ، وشباباً ، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة ، ورغبة في الشهادة ، تبعث على الدهشة ، دون أن يجبرهم قانون التجنيد ، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال ، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا .

**خطة الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهة كفار مكة :**

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة محكمة لمواجهة المشركين من قريش ، حيث اختار الموقع المناسب ، وانتخب من يصلح للقتال ، ورد من لم يكن صالحاً ، واختار خمسين منهم للرماية ، وشدد الوصية عليهم ، وقام بتقسيم الجيش إلى ثلاث كتائب ، وأعطى اللواء لأحد أفراد الكتيبة ، وهذه الكتائب هي:

1- كتيبة المهاجرين ، وأعطى لواءها مصعب بن عمير - رضي الله عنه - .

2- كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير - رضي الله عنه - .

3- كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر - رضي الله عنه - .

وكان صلى الله عليه وسلم من هديه يحرض أصحابه على قتال الأعداء ، ويحثهم على التحلي بالصبر في ميادين القتال ، لكي تتقوى روحهم المعنوية ويصمدوا عند ملاقاة أعدائهم ، ومن ذلك ما فعله يوم أحد ، وفي ذلك يقول الواقدي ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس: «يا أيها الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد كريه ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده ، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي آمركم فإني حريص على رشدكم ، فإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر» .

أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية جبل أُحُد لحماية جيش المسلمين ، فعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة ، وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبد الله بن جبير ، ووضعهم فوق جبل عينين المقابل لجبل أحد ، وذلك يمنع التفاف جيش المشركين حول جيش المسلمين , وأصدر أوامره إليهم قائلاً: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا ، حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش: لا تبرحوا حتى أؤذنكم ، وقال: لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال . وقال لأمير الرماة: «انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا» ، وقال للرماة: «الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا , وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم» ، سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أُحداً وظهره إلى المدينة ، وأصبحت مهمة الرماة في النقاط التالية: احتلال الموقع ، حماية المسلمين من الخلف ، صد الخيل عن المسلمين .

تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفهم على هيئة صفوف الصلاة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على رجليه يسوي تلك الصفوف ، ويبوئ أصحابه للقتال يقول: تقدم يا فلان ، وتأخر يا فلان ، فهو يقومهم ... ، حتى استوت الصفوف ، فوضع صلى الله عليه وسلم في مقدمة الصفوف الأشداء ، لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم , وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب ؛ لأنه أبلغ في قتال الأعداء ، وعدم القتال إلا بأمر من القائد ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال: «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال» .

**بدء القتال واشتداده وبوادر الانتصار للمسلمين :**

في بداية القتال حاول أبو سفيان أن يوجد شرخاً وتصدعاً في جبهة المسلمين المتماسكة ، فأرسل إلى الأنصار يقول: (خلوا بيننا وبين ابن عمنا ، فننصرف عنكم ، فلا حاجة بنا إلى قتال) فردوا عليه بما يكره .

ولما فشلت المحاولة الأولى لجأت قريش إلى محاولة أخرى عن طريق عميل خائن من أهل المدينة ، وهو أبو عامر الراهب ، حيث حاول أبو عامر الراهب أن يستزل بعض الأنصار فقال: يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ورماهم بالحجارة .

وبدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وطلحة بن عثمان حامل لواء المشركين يوم أحد ، خرج طلحة بن عثمان وكان بيده لواء المشركين ، وطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد فقال: يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم إلى النار, ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة , فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة؟ فخرج إليه علي بن أبي إليه طالب - رضي الله عنه - فقال له علي - رضي الله عنه -: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة , فضربه علي فقطع رجله ، فوقع على الأرض فانكشفت عورته ، فقال: يا ابن عمي ، أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه ، فكبر رسول الله ، وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه .

التحم الجيشان واشتد القتال ، وشرع رسول الله يشحذ في همم أصحابه ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفاً ، وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا ، قال: «فمن يأخذه بحقه» قال: فأحجم القوم ، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني» قال: أنا آخذه بحقه ، فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، أي يمشي مشية المتكبر، وحين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن» .

**مخالفة الرماة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم :**

استبسل المسلمون في مقاتلة المشركين وكان شعارهم: أمت ، أمت ، واستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صوراً رائعة في البطولة والشجاعة , وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير، وأبو دجانة وأبي طلحة الأنصاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأمثالهم كثير، وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة , وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: 152] .

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم ذلك إلى ترك مواقعهم ظناً منهم أن المعركة انتهت ، فقالوا لأميرهم عبد الله بن جبير: (الغنيمة الغنيمة , ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة , ثم انطلقوا يجمعون الغنائم ولا يعبأون بقول أميرهم ، ووصف ابن عباس رضي الله عنهما حالة الرماة في ذلك الموقف فقال: (فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين ، أكب الرماة جميعاً فدخلوا في المعسكر ينهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم كذا وشبَّك بين أصابع يديه ، والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموقع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً ، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير) .

ورأى خالد بن الوليد وكان على خيالة المشركين الفرصة سانحة ليقوم بالالتفاف حول المسلمين ، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتل من جديد , وأحاطوا بالمسلمين من جهتين ، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى ، وأخذوا يقاتلون بدون تخطيط ، فأصبحوا يقاتلون متفرقين , فلا نظام يجمعهم ولا وحدة تشملهم ، بل لم يعودوا يميزون بعضهم ، فقد قتلوا اليمان والد حذيفة بن اليمان خطأ , وأخذ المسلمون يتساقطون شهداء في الميدان ، وفقدوا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وشاع أنه قُتل , واختلط الحابل بالنابل واشتدت حرارة القتال ، وصار المشركون يقتلون كل من يلقونه من المسلمين ، واستطاعوا الخلوص قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بحجر كسر أنفه الشريف ورباعيته وشجه في وجهه الكريم فأثقله وتفجر الدم منه صلى الله عليه وسلم ، عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسرت رباعيته يوم أحد ، وشُجَّ في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله عز وجل: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) [آل عمران: 128] .

وحمل ابن قمئة على مصعب بن عمير - رضي الله عنه - حيث كان شديد الشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ، فقال لقريش: قد قتلت محمداً وشاع أن محمداً قد قتل فتفرق المسلمون ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلقت طائفة منهم فوق الجبل ، واختلطت على الصحابة أحوالهم ، فما يدرون كيف يفعلون من هول الفاجعة , ففر جمع من المسلمين من ميدان المعركة ، وجلس بعضهم إلى جانب ميدان المعركة بدون قتال ، وآثر آخرون الشهادة بعد أن ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي كان يأسف لعدم شهود بدر، والذي قال في ذلك: (والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله كيف أصنع) ، وقد صدق في وعده ، مر يوم أحد على قوم ممن أذهلتهم الشائعة وألقوا بسلاحهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ، فقال: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يقتل ، وموتوا على ما مات عليه ، وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء ، يعني المسلمين ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء , يعني المشركين ، ثم لقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، ثم ألقى بنفسه في أتون المعركة ، وما زال يقاتل حتى استُشهد , فوُجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، فلم تعرفه إلا أخته ببنانه ، وفي هذا وأمثاله نزل قول الله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) [الأحزاب: 23] .

أما أولئك النفر الذين فروا لا يلوون على شيء رغم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالصمود والثبات فقد نزل فيهم قوله تعالى: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [آل عمران: 153] .

**خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في إعادة شتات الجيش :**

عندما ابتدأ الهجوم المعاكس من المشركين خلف المسلمين والهدف الرئيسي فيه شخص النبي صلى الله عليه وسلم، لم يتزحزح عليه الصلاة والسلام من موقفه والصحابة يسقطون واحداً تلو الآخر بين يديه , وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب المشركين وليس معه إلا تسعة من أصحابه سبعة منهم من الأنصار، وكان الهدف أن يفك هذا الحصار، وأن يصعد في الجبل ليمضي إلى جيشه ، واستبسل الأنصار في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهدوا واحداً بعد الآخر, ثم قاتل عنه طلحة بن عبيد الله حتى أُثخن وأصيب بسهم شلت يمينه , وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة فلم يستطع ، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة ، قال الزبير: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة» , وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يناوله النبال ويقول له: «ارم يا سعد ، فداك أبي وأمي» , كما قاتل بين يديه أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أمهر الرماة ، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة» , وقد كان متترساً على رسول الله بحجفة ، وكان رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاث ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انثرها لأبي طلحة» ثم يشرف إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت ، لا تشرف إلى القوم ألا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك .

ووقفت نسيبة بنت كعب تذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وترمي بالقوس وأصيبت بجراح كبيرة ، وترس أبو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتى كثر فيه النبل والتفَّ حول الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظات العصيبة أبو بكر وأبو عبيدة , وقام أبو عبيدة بنزع السهمين من وجه النبي صلى الله عليه وسلم بأسنانه , ثم توارد مجموعة من الأبطال المسلمين ، حيث بلغوا قرابة الثلاثين يذودون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قتادة وثابت بن الدحداح ، وسهل بن حنيف ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام .

واستطاع عمر بن الخطاب أن يرد هجوماً مضاداً قاده خالد ضد المسلمين من عالية الجبل ، واستبسل الصحابة الذين كانوا مع عمر في رد الهجوم العنيف , عاد المسلمون فسيطروا على الموقف من جديد , ويئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم ، وتعبوا من طولها ومن جلادة المسلمين ، وانسحب النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه ومن لحق به من أصحابه إلى أحد شعاب جبل أحد ، وكان المسلمون في حالة من الألم والخوف والغم لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابهم ، على الرغم من نجاحهم في رد المشركين , فأنزل الله عليهم النعاس فناموا يسيراً ، ثم أفاقوا آمنين مطمئنين قال تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [آل عمران: 154] ، وقد أجمع المفسرون على أن الطائفة التي قد أهمتهم أنفسهم هم المنافقون .

أما قريش فإنها يئست من تحقيق نصر حاسم وأجهد رجالها من طول المعركة ، ومن صمود المسلمين وجلدهم وخاصة بعد أن اطمأنوا وأنزل الله عليهم الأمنة والصمود فالتفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولذلك كفوا عن مطاردة المسلمين وعن محاولة اختراق قواتهم .